الفصل الرابع
مع الشاعر الحكيم الدكتور محمد إقبال
وقصيدة (حديث الروح)
بنظم عربى لشاعر القيثارة الإيمانية
الشاعر الشيخ الصاوى على شعلان (*)

● يُعدُّ العلامة الشاعر الشيخ الصاوى على شعلان نابغة الشرق وشاعر قيثارته الإيمانية فى العصر الحديث، وتُعَدُّ شخصيتُه الفريدة نادرةً من نوادر القرن العشرين، ولم يكن عجيبًا أنْ يلقب بمعجزة الشرق فى مواجهة هيلين كيلر معجزة العالم الأمريكى وهى السيدة التى تحدَّتْ الصمم والعَمَى وتغلبت بصبرها على كل المعوقات فأنجزت من الأعمال والمؤلفات مالا يقوى على إنجازه أقوياء قادرون ... وهى العمياء الصماء البكماء، وفى زيارتها لمصر أواسط هذا القرن العشرين التقت بالشيخ الصاوى شعلان النابغة الضرير، وكتبت صحيفة (المصرى) عن ذلك اللقاء تحت عنوان (معجزة أمريكا تلتقى بمعجزة مصر) وقد اعتمد الشيخ الصاوى شعلان فى تحدى العجز والعمى على يقين الإيمان وإيمان اليقين، وكان كما قال شاعر الإسلام الفيلسوف محمد إقبال «المسلم الضعيف يعتذر دائما بالقضاء والقدر أما المؤمن القوى فهو بنفسه قضاء الله الغالب وقدره الذى لا يرد».

ومن ثم كان الشاعر الصاوى شعلان – رحمه الله – مثالا للمؤمن الصابر الراضى بقضاء الله الذى جعل من عجزه دافعًا للجد والمثابرة والإبداع – ولله فى خلقه شئون – فقد يكون فى السلب فضل، وقد تكون رحمة الله – تعالى للعبد

(*) انظر المؤلف فى كتابه «قمم إسلامية معاصرة – فى الدّين والأدب والدولة». دار الاعتصام بالقاهرة. الطبعة الأولى: (١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م).

منعًا لا عطاء وضعفا لا قوة فكم من مسلوب نعمة دفعه قصوره للتجويد والطموح ففاق أنداده من القادرين وربما لو كان مثلهم فى تمام صحتهم وقدرتهم ما بزَّهم وما فاقهم وما شقَّ طريقه إلى عالم العبقرية والتفرد، وكم من العبقريات العجيبة فى عالم المكفوفين فى شتى مجال النبوغ والعبقرية والأمثلة كثيرة لا تُحصى فى القديم والحديث وعبقرية شاعرنا العلامة الصاوى على شعلان دليلاً كافيا على ما نقول !!!.

● حدثنى عنه صاحب مجلة «البريد الإسلامى» – رحمه الله – بحديث الحب والإعجاب فكان مما قاله لى عن الشيخ الشاعر الصاوى شعلان إنه كان ذكيا فطنا وكان «الأزهر الشريف» يوظف مساعدا له ودليلا يرشده إلى حيث يريد فكان – رحمه الله – يصرف هذا المرشد الموظف بعد خروجه من الأزهر إلى الطريق العام ليذهب إلى قضاء مصالحه وشئونه ويمضى الشيخ معتمدا على بصيرته وذكائه النفاذ وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: ٤٦]

وقد دفع الشيخ طموحه وشغفه بالتفرد والنبوغ للبحث فى طريق العبقرية والقمم السامقة فى عالم المثل الأعلى، ولذا نراه يأسى لما يشيع فى عالمنا الإسلامى من الخصال الخبيثة من الحقد والحسد وحرب الناجحين والنقمة على النابغين على النقيض من سلوك الأوروبيين تجاه الناجحين عندهم والنابغين فيهم يقول –رحمه الله: «وإنه لمن أعظم النكبات فى الأمم الشرقية أنه لا يكاد المصلح يبدأ رسالته حتى تنجم له النواجم من أمته وتدب له العقارب من أبناء جنسه لعرقلة خطواته وإضاعة مجهوداته وتأخير غاياته فبينما هو يبذل من ماله وجهده ويحرق نفسه بخورا لأمته إذا بالصيحات تعترضه من كل مكان وتخنق أنفاسه وفى أمم الغرب لا تكاد تلمع بارقة العبقرية فى نابغ منهم حتى يرفعوه إلى السماك الأعزل ويهيئوا له الأسباب ويغدقوا عليه الثروة التى تمكنه من الفراغ لأداء رسالته بينما تخفق العبقرية فى الشرق من فجر مهدها وترى قبل شروق الحياة مغرب لحدها».

● ولعل الكثير من المعاصرين لم يسمعوا عن الشاعر الصاوى شعلان إلا من خلال قصيدة (حديث الروح) المغناه والتى تعد من أروع ما يسمعه محبو الفنون الجميلة فى مجال القصيد العذب الجميل والتى تحلق بهم فى آفاق من السمو الروحى لما فيها من سمو المعنى وجلال الغاية وجمال التصوير والتعبير وعمق الفكرة وصدق العاطفة. الأمر الذى يجعلها قصيدة مؤثرة غاية التأثير ومطلعها:

حديثُ الروح للأرواح يَسْرى ... وتدركه القلوبُ بلا عناءِ
هتفتُ به فطارَ بلا جناح ... وَشَقَّ أنينُهُ صَدْرَ الفضاءِ
ومعدنه تُرابىٌّ ولكنْ ... جَرَتْ فى لفظه لُغَةُ السَّماءِ
لقدْ فاضتَ دموعَ العشق منى ... حديثًا كانَ عُلوىَّ النِّداءِ
فحَلّقَ فى رُبَا الأفلاكِ حَتّى ... أهاجَ العالمَ الأعلى بُكائى

– والقصيدة برغم أنها مترجمة عن الشاعر الفيلسوف محمد إقبال إلا أن صوغ الشاعر الصاوى شعلان إياها فى قالب الشعر العربى بهذه الصورة الجميلة موهبة فذة لا تتأتى إلا لشاعر أجاد اللغتين المنقول عنها (الأردية) والمنقول إليها (العربية) فضلاً عن شاعرية متدفقة وإحاسيس مرهفة وإلمام دقيق لمضامين القصيدة ومعانيها الجُزئية والعامة على السواء، وقد تحقَّق ذلك كلّه للشاعر الصاوى شعلان بصورة لم تتوافر لغيره من كثير من أدباء العربية الذين قدموا شعر إقبال منظومًا إلى العربية، وإن كان جهدهم فى مجال التعريف بإقبال وحماسهم له ولآرائه السديدة فى الإصلاح السياسى والتجديد الدينى مشكورة غير منكورة ولكن يبقى الشيخ الصاوى فى ترجمة أشعار الدكتور محمد إقبال نظمًا إلى العربية نسيج وحده وفريد عصره.

– وقد حقق العلامة الصاوى شعلان بترجمة أشعار إقبال نظمًا إلى العربية أمنيةً طالما تمناها الفيلسوف إقبال – رحمه الله – حيث قال: «إن أعمالى ستخلد وسترون أن كل معنى أرسلته فى قصائدى ستحمله اللغات بعضها إلى بعض

ولكنى أريد أن يترجم كلامى إلى العربية أولا وقبل كل شئ ليصل إلى العرب صوتى وليفهم العالم الإسلامى أسرار قلبى».

وقد حقق الله – تعالى – لإقبال ما أراد فكانت ترجمة كثير من أشعار إقبال شعراً إلى العربية بيراع الشاعر الصاوى شعلان عملاً عبقريا حتى ليخيل إلى قارئ تلك الأشعار أنَّ إقبال نظمها بالعربية معبرة عن أفكاره ومشاعره وطموحه فعلا وما كان ذلك كذلك إلا لشاعرية الشيخ الصاوى المتدفقة وقوة إيمانه برسالة الإسلام وشدة إعجابه بالفيلسوف إقبال وآرائه السديدة ومشاعره الصادقة المؤثرة: «وصادق الحب يملى صادق الكلم» ولكنى تبقى تلك الأشعار تحمل خصائص شاعرية أديبنا الصاوى شعلان من عذوبة الألفاظ وسلاسة العبارات وجمال التصوير والتعبير وقوة العاطفة وصدق الموهبة وشدة الإخلاص لرسالة الإسلام فى البعث والنهضة.

● ولقد كان إعجاب شاعرنا بالفيلسوف محمد إقبال وشاعريته المتدفقة وروحه الشفافة وإقباله على تعلم اللغة الأردية لغة إقبال والفارسية لغة الحضارة والأدب وترجمته الكثير من أشعار إقبال إلى العربية خيراً وبركة على الأدبين العربى والإسلامى حيث نجح العلامة الصاوى شعلان فى تقديم شاعر الإسلام محمد إقبال شاعراً وفيلسوفاً ورجل قانون وسياسة للأدباء والمفكرين العرب وأثرى أيضا الأدب الإسلامى فى لغة الضاد وجَدَّ العلامة الصاوى شعلان فى أنظار الأدباء والمصلحين المسلمين فى المنطقة العربية خاصة والعالم الإسلامى عامة وقد مزج الهم الإسلامى والطموح لبعث حضارة إيمانية تنبع من رسالة الإسلام وهدى القرآن روح الرجلين فصارت روحاهما روحا واحدا فى جسدين، وقد كان ذلك واضحاً جلياً فى قصيدتي إقبال (شكوى) و(جواب شكوى) وهما رائعتان من روائع إقبال لو لم يبدع الشاعر الصاوى شعلان فى ترجمته ونظمه لشعر إقبال بالعربية سواهما لكان ذلك حسبه شرفًا وفخاراً ويزيد، والقصيدتان تعبران عن إقبال شاعراً وفيلسوفًا ومصلحاً وداعيًا للبعث الإسلامى والوحدة الإسلامية على

أكمل ما يكون التعبير وأحسنه يقول شاعرنا الصاوى شعلان فى تعريف القصيدتين :

« قصيدتان تعدان فى طليعة ما نظم إقبال فى اللغة الأردية حاول بهما أن يستحث هِمَم المسلمين إلى طلب الرفعة والطموح إلى المجد واستخلاص تراث الماضى من بين براثن الدهر والعودة بالركب الإسلامى إلى قافلة الحياة الدائبة فى سيرها صوب الكمال أما أولاهما (شكوى) فقد اتجه بها إلى الله – تعالى شاكيًا – ما أصاب المسلمين من الأحداث والغِيَر التى تخلفت بهم عن ركب الحضارة وهم الذين حملوا شعلتها ورفعوا مصباحها لعصور الدهر وأجياله » وفى الثانية (جواب شكوى) يقول شاعرنا – رحمه الله – فى تعريفها : « أما القصيدة الثانية فهى (جواب الشكوى) تخيلها إقبال صوتًا سماويًا يُدوى بصيحة الحق جوابا لهذه الشكوى التى تبدو فى صرخاتها المتململة المضطربة كأنها خيال جائر لا يقوم على الحجة والبرهان ولا يستقر على دليل من الواقع » ومطلع القصيدة (شكوى) [1] كما جاء فى نظم الشاعر الصاوى شعلان :

شكواى أم نجواى فى هذا الدجى ... ونجوم ليلى حُسَّدِى أم عُوَّدِى
أمسيت فى الماضى أعيش كأنما ... قطع الزمان طريق أمسى عن غدى
والطير صادحةٌ على أفنانها ... تُبكِي الربى بأنينها المتجدد
قد طال تسهيدى وطال نشيدها ... ومدامعي كالطل فى الغصن الندى
فإلى متى صمتى كأنى زهرة ... خرساء لم تُرزقْ براعة منشدِ

أما مطلع قصيدة (جواب شكوى) [2] كما ورد فى نظم الشيخ الصاوى :

كلام الروح للأرواح يَسْرِى ... وتدركه القلوبُ بلا عناءِ
هتفتُ به فطارَ بلا جناح ... وَشَقَّ أنينُهُ صَدْرَ الفضاءِ
ومعدنه تُرابىٌّ ولكنْ ... جَرَتْ فى لفظه لُغَةُ السَّماءِ

---

(١) انظر الملحق (١) عقب هذه الدراسة. (٢) انظر الملحق (٢) عقب هذه الدراسة.

لقدْ فاضت دموع العشق منى حديثًا كان عُلوىَّ النِّداء
فحلّق فى ربا الأفلاك حتّى أهاج العالم الأعلى بُكائى

● وقد تخير شاعرنا من القصيدتين ثمانية وعشرين بيتًا هى جملة القصيدة المغناة والمعروفة بـ (حديث الروح) [1] والتى تذاع عبر الأثير من الإذاعات العربية والإسلامية الناطقة بالعربية بالصوت العذب الجميل ناطقة بشاعرية إقبال وعمق أفكار وعبقرية العلامة الصاوى شعلان فى الترجمة والنظم، وقد حكى بعض المقربين من الشاعر – رحمه الله – أنه كان يتأثر كثيرا عندما يستمع إلى قصيدة (حديث الروح) المغناة فيبكى وكانت رقته تفيض ودموعه تنهل عند سماعه للبيت الذى يقول :

فإلى متى صمتى كأنى زهرة خرساء لم ترزق براعة منشد

ولم يشأ أحد من المقربين أن يسأله عما يثير شجونه عند سماعه هذا البيت بالذات مما يلفتنا إلى ما كان يتمتع به فى شخصيته من رقة الطبع والإحساس المرهف وفيض المشاعر الإنسانية ورحمته الرحيمة وقلبه الكبير.

● هذا الرجل الضرير الذى نشأ يتيما ابتلاه الله بكرمه وحكمته بفقد نور البصر منذ الطفولة المبكرة فيصبر ويثابر ويرضى بقضاء الله فينير الله بصيرته ويمده بفيض من أنواره ويفتح عليه بفتوح العارفين ويتعهده بالرعاية مُنْذُ نعومة أظفاره فَيَجِدُّ هذا الصبى فى طلب العلم وحفظ القرآن فى قريته (سبك الأحد) من أعمال (أشمون) بمحافظة المنوفية بمصر حيث تُسبّحُ الطير وتجرى الأنهار وتنطق الأرض الخضراء بالحُسن والجمال، فى تلك البقعة الوديعة من أرض مصر ... يشب شاعرنا فى حضن النيل ويسير على درب النجاح والكفاح بخطى ثابته متعديا بعون الله وحوله وقوته كل ما يواجهه من صعاب فى الدرس والتحصيل والرحلة إلى القاهرة فى طلب العلم بالجامع الأزهر فى جوٍّ لم يألفه وفى

---

(١) انظر الملحق (٣) عقب هذه الدراسة.

مدينة تختلف طرائق الحياة فيها اختلافًا كليا عما ألف فى نشأته الأولى فى حضن قريته الوديعة فى دلتا النيل. ولقد وجد الفتى أنه فى ظروفه تلك بين أمرين لا ثالث لهما:

أولهما أنه يرضى بقضاء الله ويعمد على مواجهة ضعفه وعجزه بإراداة صلبة وعزم لا يلين معتمداً على الله - تعالى - فيكون النجاح والنبوغ وطريق المجد والسؤد، وثانيها: أن ييأس من روح الله ويستسلم للحزن والعجز فيجنح إلى حياة الخمول والضياع والإحباط، وكان أن اختار الأمر الأول وتقبل ابتلاء الله بقبول حسن وعلّق على فقد البصر بقوله: « . . . إنه قد أدرك قيمة النعمة الكبرى فى البصر، وعرف المتاعب التى يُعانيها المكفوف فى نفس الوقت » وأكبَّ الفتى يدرس ويجدّ فى التحصيل حتى اجتاز مراحل التعليم بالأزهر بنجاح باهر، وقد بدت أمارات النَّجابة والنبوغ على فتانا فى الجامع الأزهر حتى إن شيخه فى (تجويد القرآن الكريم) السيد سابق محمد السبكى كان يُسند إليه تعليم المبتدئين، ويغتنم الفتى سنوات الدرس بالجامع الأزهر ويعمد إلى دراسة اللغات من فارسية وأردية وإنجليزية وفرنسية وغيرها بمساعدة زملائه الوافدين للدرس بالجامع الأزهر الشريف من البلدان الإسلامية وسائر بلدان العالم وساعده على النبوغ فى ذلك ذاكرته اللاقطة وذكاؤه الشديد وموهبته الخاصة فى تعلم اللغات، وعمد أيضًا إلى دراسة الكتابة بطريقة الحروف البارزة المشهورة بطريقة (برايل) معتمدا على نفسه بعد أن طرق عدة معاهد لتعلم الكتابة ولم ترقه طريقها ولجأ إلى الاستعانة بأحد المدرسين الخصوصيين لتعليمه الكتابة بالخط البارز، وكان يدفع له أجر الدروس من النقود القليلة التى يحصل عليها من تدريسه بعض الدروس للآخرين ومن الطريف أنه طمع فى شراء المسطرة الوحيدة التى لدى أستاذه وهى المسطرة الخاصة بالكتابة البارزة للمكفوفين ولم يكن لديه من المال إلا ثمن المسطرة فدفع لأستاذه كل ما معه من مال وترك نفسه يومين عرضة للجوع والمسغبة، بَيْدَ أنه كان كلما تحسَّسَ المسطرة بين يديه نسى آلام الجوع وفرح كثيراً بها.

● ولم يكتف – رحمه الله – بالشهادة العالية التى حصل عليها من الجامع الأزهر سنة ١٣٥٠ هـ تحمل البراءة من «فؤاد» ملك مصر إلى حضرة الشيخ الصاوى على شعلان بناء على ما أقره مجلس الأزهر الأعلى فى ١٤ ربيع الثانى سنة ١٣٥١ هـ الموافق ١٦ من أغسطس سنة ١٩٣١م من نجاحه فى امتحان شهادة العالمية. وإنما يطرق باب الدرس العالى بجامعة القاهرة وييسر له الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية صديقه الكتور عبد الوهاب عزام – رحمه الله – وقد جمع بينهما التوجه الإسلامى والإعجاب بشاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال، ويواصل الدرس للحصول على درجة الدكتوراه غير أن ظروفا خاصة به حالت دون التقدم للحصول عليها.

● وكان لشاعرنا شغف بالكفاح السياسى إبان الدراسة الجامعية بالأزهر فى مواجهة الاحتلال الأجنبى لمصر وذات مرة جمعه مع زملائه فى الأزهر اجتماع سياسى فى رحاب الأزهر فعمدت الحكومة إلى إطفاء الأنوار لينفض الاجتماع فما كان من شاعرنا إلا أن صاح ببيتين من شعره جمع بهما ما تفرق من الطلاب الحضور حتى اكتمل الاجتماع فى ساحة الأزهر على ضوء القمر والبيتان هما:

إن كان غاب سراج عن مآقينا　　فنور رب السما يا قوم يكفينا
هم اطفئوها كى تطفأ عزائمنا　　هذا محال ولو كانوا شياطينا

● وفى مجال الإصلاح الاجتماعى والدعوة إلى مكارم الأخلاق الإسلامية فقد أفنى الرجل عمره فى رسالة الخير والتوجة التربوى الإسلامى ومن وسائله فى ذلك مجلة «مكارم الأخلاق» الإسلامية القاهرية التى كان مديراً لها فضلاً عن جهوده فى مجال إصلاح السجون لتكون أماكن للتربية والتهذيب وكان له دوره فى بث الروح الإسلامية فيها وإقامة الصلوات والدروس الدينية وسط المسجونين وفى مجال العمل الخيرى شارك فى تأسيس جمعية «النور» للنهضة بالمكفوفين بالزيتون بالقاهرة وكان هو صاحب فكرة تسميتها بذلك الاسم كما يقول

الباحث على عامر بقسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية التابعة لجامعة الأزهر في بحثه لنيل درجة الماجستير عن العلامة الصاوى على شعلان شاعراً، وقد تعدت موهبته تلك المجالات كي تطال الفنون الجميلة التى كان يتذوقها بعامة والموسيقى بخاصة.

● هذا الرجل الموهوب كما يقول المعاصرون والعبقرى نسيج وحده كما يقول القدماء لم يحظ بحقه من التكريم وتسليط الضوء على جوانب شخصيته المتعددة فى مجال الشعر والإصلاح السياسى والنشاط الصحافى والعمل الخيرى والدرس الجامعى والترجمة والتأليف ولقد كان حسنا أن تحاول جامعة الأزهر أن تذكر للرجل بعض حقه بالدراسة التى قام بها الباحث على عامر العربى بقسم الأدب والنقد التابع لكلية اللغة العربية بالقاهرة بإشراف الدكتور جودة عبد الله مصطفى وتركز على العلامة الصاوى على شعلان شاعراً، والرجل - رحمه الله - يحتاج لمزيد من الاهتمام لإبراز جوانب العبقرية فى شخصيته الفريدة، ولا يفوتنا الإشارة إلى النشاط العلمى للرجل كما ذكر الباحث على عامر فى بحثه المذكور آنفا، فكم له من مقالات وأشعار كثيرة جمعت فى ديوان سماه الشاعر «وحى الإيمان» صدر بالقاهرة عام ١٩٧٥ وصدره بإهداء إلى سيدنا رسول الله ﷺ وكتاب آخر يجمع بين الترجمات الشعرية والنثرية للشعراء الخمسة (إقبال - العطار - الرومى - حالى - السعدى) بالاشتراك مع العلامة محمد حسن الأعظمى وديوانه «إيوان إقبال» ويتضمن مجموعة من القصائد التى ترجمها شعراً من شعر إقبال عن الأردية أو الفارسية مع بعض القصائد التى ترجمها الدكتور عبد الوهاب عزام - رحمه الله - لشعر إقبال، فقد صدر إيوان إقبال عن السفارة الباكستانية بالقاهرة عام ١٩٧٧ فى ذكرى الميلاد المئوى لإقبال - رحمه الله - وقد قام بالرجل وساعد فى جمع قصائده وتتبع أعماله المنشورة والقراءة له وإعداد خطبه ومحاضراته ... رجلان فاضلان ممن أعجبا بالرجل أيما

إعجاب وتعلقت روحهما به أيما تعلق وهما الأستاذان الشيخ عبد الحكم محمود نور الدين الذى لازم العلامة شعلان منذ الثلاثينات وشارك فى جمع ندواته الدينية وكان يقرأ له خطبه ومحاضراته والرجل الثانى الأستاذ محمد الليثى على محمد والذى بدأت علاقته بشاعرنا منذ الثلاثينات أيضاً ولا زمه وكان يقرأ له أصول الأحاديث التى يقوم بأدائها فى الإذاعة، ثم أتم جميله مع الشاعر بجمع قصائده المنشورة المتناثرة وعرضها عليه قصيدة قصيدة لاختيار ما ينشر منها وما لا ينشر والتأكد والتدقيق فى ذلك حتى تم ذلك بصدور ديوان «وحى الإيمان»، وعرفت أخلاق الرجل بأجمل ما تعرف به أخلاق إنسان تهفو إليه القلوب من دين وصلاح وشجاعة فى قول الحق ورقة إنسانية رقيقة للبائس والفقير والعاجز وصاحب البلاء ووفاء بخاصة الوفاء للأستاذ، وبهذا الصدد لا يفوتنا أن نذكر هذا الموقف الذى يكشف عن معدن هذا الرجل الأصيل فبعد أن فرغ من الشهادة الثانوية والتحق بالقسم العالى بالأزهر الشريف أخذ يجد فى التحصيل والاستيعاب وتحدى الصعاب، وتقدم للاختبار بَيْدَ أنه رسب فى مادة الأصول بعد امتحان دام ثلاث ساعات ونصف أمام لجنة رئيسها أحد قضاة المحكمة الشرعية، وحزن لذلك وطلب إليه زملاؤه أن يشكو هؤلاء العلماء الممتحنين فأبى عليه أدبه وخلقه ووفاؤه أن يفعل ما فعله زملاؤه وقال قولته المشهورة: «هذا عقوق لا يبرره النجاح، ودرس الرسوب ينفعنى ويدفعنى» ولم يسلك مسلك أخ أزهرى له من قبل جعل يرتقى سلم المجد على حساب جرأته على علمائه فى الأزهر وجرأته على الإسلام والقرآن فكبر فى عين خصوم الإسلام فأسبغوا عليه نعمهم ظاهرة وباطنة وكالوا له المديح كيلا وخلعوا عليه الألقاب ليبث سمومه الفكرية بما لا يقوى عليه أعتى عتاة خصوم الإسلام وبلسان عربى مبين!.

● يرحم الله شيخنا العلامة الصاوى على شعلان الذى كانت حياته بين عامى ١٩٠١ حتى ١٩٨٢ ميلادية كتاباً ناصع الصفحات وزماناً يفيض بالنشاط

وعملاً عبقريا فى شتى المجالات، ويرحم الله أستاذنا العقاد الذى كان يعجب بمهارة الشيخ الصاوى فى الخطابة السياسية فى بيت الأمة وفى حضرة سعد باشا وكان يلقبه ـ «خطيب بيت الأمة» وبارك الله فى ذرية الشاعر العلامة الصاوى على شعلان.

* * *

● **المصادر والمراجع:**

(١) الجوهرى. عبد اللطيف. مع إقبال شاعر الوحدة الإسلامية. مكتبة النور بالقاهرة ٠ ١٩٨٦م.

(٢) الأعظمى محمد حسن، شعلان. الصاوى على. الأعلام الخمسة تحقيق مصطفى غالب (دكتور) مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر. بيروت لنان ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

(٣) العربى. على عامر على (باحث). الصاوى على شعلان شاعراً. رسالة ماجستير (غير مطبوعة).

* * *

مُلحق (١)

حديث الروح

من قصيدتى (شكوى و(جواب شكوى) لشاعر باكستان وفيلسوفها الكبير الدكتور محمد إقبال

ترجم القصيدتين إلى العربية الأستاذ محمد حسن الأعظمى ونظمهما شعراً فضيلة الشيخ الصاوى على شعلان

حديثُ الروح للأرواح يَسْرى ... وتدركه القلوبُ بلا عناء
هتفتُ به فطارَ بلا جناح ... وَشَقَّ أنينُهُ صَدْرَ الفضاء
ومعدنه تُرابىٌّ ولكنْ ... جَرَتْ فى لفظه لُغَةُ السَّماء
لقدْ فاضتَ دموعَ العشق منى ... حديثًا كانَ عُلوىَّ النِّداء
فحَلّقَ فى رُبَا الأفلاك حَتّى ... أهاجَ العالمَ الأعلى بُكائى

* * *

تحاورت النجومُ وقُلنَ صَوتُ ... بقرب العرشِ موصولُ الدعاء
وجاوبت المجرَّةُ علَّ طيفًا ... سرى بين الكواكب فى خفاء
وقال البدرُ هذا قلبُ شاكٍ ... يُواصل شدوهَ عند المساء
ولمْ يعرفْ سوى رضوانَ صوتى ... وما أحراه عندى بالوفاء

* * *

شكواي أم نجواي فى هذا الدجى ... ونجوم ليلي حُسَّدى أم عودى
أمسيت فى الماضى أعيش كأنما ... قطع الزمان طريق أمسى عن غدى
والطير صادحة على أفنانها ... تُبكى الربى بأنينها المتجدد
قد طال تسهيدى وطال نشيدها ... ومدامعى كالطل فى الغصن الندى
فإلى متى صمتى كأنى زهرة ... خرساء لم تُرزقْ براعة منشد

* * *

قيثارتي مُلئتْ بأنّات الجوَى ... لا بُدَّ للمكبوت من فيضان
صعدت إلى شفتى خواطر مهجتى ... ليُبينَ عنها منطقى ولسانى
أنا ما تعديتُ القناعة والرضا ... لكنما هى قصّة الأشجان
يشكو لك اللهم قلبٌ لم يعش ... إلا لحمدِ عُلاكَ فى الأكوانِ

* * *

من كان يهتفُ باسم ذاتك قبلَنا ... من كَان يدعو الواحدَ القهّارا
عبدُوا الكواكبَ والنجومَ جهالةً ... لم يَبلغوا من هديها أنْوارا
هل أعلن التوحيدَ داعٍ قبلنَا ... وهدى القلوبَ إليك والأنظارا
ندعو جهاراً لا إلَه سوى الذى ... صنع الوُجود وقدَّر الأقدار

* * *

إذا الإيمانُ ضاعَ فلا أمانٌ ... ولا دُنيا لمن لم يُحي دينا
ومن رضىَ الحياة بغير دين ... فقد جعل الفناءَ لها قرينا
وفى التوحيد للهمم اتحادٌ ... ولن تَبْنوا العُلا متفرقينا

* * *

ألم يُبْعَثْ لأمتكم نبى ... يوحِّدكم على نَهْجِ الوئام
ومصحفكُم وقبلتكم جميعًا ... منارٌ للأخوة والسلام
وفوق الكل رحمنٌ رحيمٌ ... إلَه واحدٌ ربُّ الأنام

* * *

مُلحق (٢)

شكـــوى ...

شكواي أم نجواي فى هذا الدجى ... ونجـوم ليلى حـسـدى أم عـودى
أمسيت فى الماضى أعيش كأنما ... قطع الزمان طريق أمسى عن غدى
والطيـر صـادحـة على أفنانهـا ... تبكى الربى بأنينهـا المتـجـدد
قد طال تسهيدى وطال نشيدها ... ومدامعى كالطل فى الغصن الندى
فـإلى متى صـمـتى كـأنى زهرة ... خـرسـاء لم تُرزقْ براعـة منشـدِ

* * *

قِـيـثـارتى مُلئتْ بأنَّات الجـوَى ... لا بُدَّ للمكبـوت من فَـيـضَـانِ
صعدت إلى شفتى خواطر مهجتى ... ليُـبينَ عنهـا منطقى ولسـانى
أنا مـا تعـديتُ القناعـة والرضـا ... لكنمـا هى قـصّـة الأشـجـان
أشكو وفى فـمـى التـراب وإنما ... أشكو مـصـاب الدين للديان
يشكو لك اللهم قلبٌ لم يعش ... إلا لحـمـدِ عُـلاكَ فى الأكـوانِ

* * *

قـد كـان هذا الكون قـبل وجـودنا ... روضًـا وأزهارًا بغـيـر شـمـيم
والورد فى الأكمام مجهول الشذى ... لا يرتجى ورد بغـيـر نسـيم
بل كـانت الأيام قـبل وجـودنا ... ليـلاً لظالمهـا وللمظلوم
لما أطل مـحـمـد زكت الربى ... واخضر فى البستان كل هشيم
وأذاعت الفردوس مكنون الشذى ... فـإذا الورى فى نضـرة ونعـيم

* * *

من قـام يهـتف باسم ذاتك قـبلنا ... من كـان يدعـو الواحـد القـهـارا
عـبـدوا تماثيل الصخـور وقـدسـوا ... من دونك الأحـجـار والأشـجـارا
عـبـدوا الكواكب والنجوم جهـالة ... لم يبلغـوا من هديهـا أنوارا
هل أعلن التـوحـيـد داع قـبلنا ... وهدى الشـعـوب إليك والأنظارا
كنا نقـدم للسـيـوف صـدورنا ... لم نخش يومًـا غـاشـمًـا جـبـارا
قد كان فى اليونان فلسفة وفى الـ ... ـرومان مدرسة وكان الملك فى ساسان

لم تغن عنهم قوة أو ثروة ... فى المال أو فى العلم والعرفان
وبكل أرض سامرى ماكر ... يكفى اليهود مؤونة الشيطان
والحكمة الأولى جرت وثنية ... فى الصين أو فى الهند أو توران
نحن الذين بنور وحيك أوضحوا ... نهج الهدى ومعالم الإيمان

* * *

من ذا الذى رفع السيوف ليرفع اسم ... ـك فوق هامات النجوم منارا
كنا جبالاً فى الجبال وربما ... سرنا على موج البحار بحارا
بمعابد الأفرنج كان أذاننا ... قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم تنس أفريقيا ولا صحراؤها ... سجداتنا والأرض تقذف نارا
وكأن ظل السيف ظل حديقة ... خضراء تنبت حولنا الأزهارا

* * *

لم نخش طاغوتًا يحاربنا ولو ... نصب المنايا حولنا أسوارا
ندعو جهارًا لا إله سوى الذى ... صنع الوجود وقدر الأقدارا
ورؤوسنا يا رب فوق أكفنا ... نرجو ثوابك مغنمًا وجوارا
كنا نرى الأصنام من ذهب ... فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا
لو كان غير المسلمين لحازها ... كنزًا وصاغ الحلى والدينارا

* * *

كم زلزل الصخر الأشم فما وَهَى ... من بأسنا عزم ولا إيمان
لو أن آساد العرين تفزعت ... لم يلق غير ثباتنا الميدان
وكأن نيران المدافع فى صدو ... ر المؤمنين الروح والريحان
توحيدك الأعلى جعلنا نقشه ... نورًا تضئ بصبحه الأزمان
فغدت صدور المؤمنين مصاحفًا ... فى الكون مسطورًا بها القرآن

* * *

من غيرنا هدم التماثيل التى ... كانت تقدسها جهالات الورى؟
حتى هوت صور المعابد سجدًا ... لجلال من خلق الوجود مصورا

ومنّ الأُلى حملوا بعزم أكفهم ... باب المدينة يوم غزوة خيبرا؟
أمن رمى نار المجوس فأطفئت ... وأبان وجه الحق أبلج نيرا؟
ومن الذى بذل الحياة رخيصة ... ورأى رضاك أعز شئ فاشترى؟

* * *

نحن الذين استيقظت بأذانهم ... دنيا الخليقة من تهاويل الكرى
نحن الذين إذا دعوا لصلاتهم ... والحرب تسقى الأرض جاماً أحمرا
جعلوا الوجوه إلى الحجاز وكبروا ... فى مسمع الروح الأمين فكبرا
محمود مثل أياز [1] قام كلاهما ... لك بالخشوع مصلياً مستغفرا
العبد والمولى على قدم التقى ... سجدا لوجهك خاشعين على الثرى

* * *

بلغت نهاية كل أرض خيلنا ... وكأن أبحرها رمال البيد
فى محفل الأكوان كان هلالنا ... بالنصر أوضح من هلال العيد
فى كل موقعة رفعنا راية ... للمجد تعلن آية التوحيد
أمم البرايا لم تكن من قبلنا ... إلا عبيداً فى إسار عبيد
بلغت بنا الأجيال حرياتها ... من بعد أصفاد وذل قيود

* * *

رحماك رب هل بغير جباهنا ... عرف السجود ببيتك المعمور؟
كانت شغاف قلوبنا لك مصحفاً ... يحوى جلال كتابك المسطور
إن لم يكن هذا وفاء صادقاً ... فالخلق فى الدنيا بغير شعور
ملأ الشعوب جناتها وعصاتها ... من ملحد عات ومن مغرور
فإذا السحاب جرى سقاهم غيتة ... واختصنا بصواعق التدمير

* * *

قد هبت الأصنام من بعد البلى ... واستيقظت من قبل نفخ الصور
والكعبة العليا توارى أهلها ... فكأنهم موتى لغير نشور

---

(١) السلطان محمود الغزنوى وأياز خادمه.

وقوافل الصحراء ضل حُداتها وغدت منازلها ضلال قبور
أنا ما حسدت الكافرين وقد غدوا فى أنعم ومواكب وقصور
بل محنتى ألا أرى فى أمتى عملاً تقدمه صَدَاق الحور

* * *

لك فى البرية حكمة ومشيئة أعيت مذاهبها أولى الألباب
إن شئت أجريت الصحارى أنهرا أو شئت فالأنهار موج سراب
ماذا دهى الإسلام فى أبنائه حتى انطووا فى محنة وعذاب
فثراؤهم فقر ودولة مجدهم فى الأرض نهب ثعالب وذئاب
عاقبتنا عدلاً فهب لعدونا عن ذنبه فى الدهر يوم عقاب

* * *

عاشوا بثروتنا وعشنا دونهم للموت بين الذل والإملاق
الدين يحيا فى سعادة أهله والكأس لا تبقى بغير الساقى
أين الذين بنار حبك أرسلوا الـ ـأنوار بين محافل العشاق
سكبوا الليالى فى أنين دموعهم وتوضأوا بمدامع الأشواق
والشمس كانت من ضياء وجوههم تهدى الصباح طلائع الإشراق

* * *

كيف انطوت أيامهم وهم الأُلى نشروا الهدى وعلوا مكان الفرقد
هجروا الديار فأين أزمع ركبهم من يهتدى للقوم أو من يقتدى
يا قلب حسبك لن تلم بطيفهم إلا على مصباح وجه محمد
فازوا من الدنيا بمجد خالد ولهم خلود الفوز يوم الموعد
يا رب ألهمنا الرشاد فما لنا فى الكون غيرك من ولى مرشد

* * *

ما زال قيس والغرام كعهده وربوع ليلى فى ربيع جمالها
وهضاب نجد فى مراعيها المها وظباؤها الخفرات ملء جبالها
والعشق فياض وأمة أحمد يتحفز التاريخ لاستقبالها

لو حاولت فوق السماء مكانة رفت على شمس الضحى بهلالها
ما بالها تلقى الجدود عواثرا وتصدها الأيام عن آمالها

* * *

هجر الحبيب رمى الأحبة بالنوى وأصابهم بتصرم الآمال
لم يبق فى الأرواح غير بقية رحماك يا مرآة كل جمال
لو قد مللنا العشق كان سبيلنا أن نستكين إلى هوى وضلال
أو نصنع الأصنام ثم نبيعها حاشا الموحد أن يذل لمال
أيام سلمان بنا موصولة وتُقَى أويس فى أذان بلال

* * *

يا طيب عهد كنت فيه منارنا فبعثت نور الحق من فاران
وأسرت فيه العاشقين بلمحة وسقيتهم راحًا بغير دنان
أحرقت فيه قلوبهم بتوقد الـ ـإيمان لا بتلهب النيران
لم نبق نحن ولا القلوب. كأنها لم تحظ من نار الهوى بدخان
إن لم ينر وجه الحبيب بوصله فمكان حزن القلب كل مكان

* * *

يا فرحة الأيام حين نرى بها روض التجلى وارف الأغصان
ويعود محفلنا بحسنك مسفراً كالصبح فى إشراقه الفينان
قد هاج حزنى أن أرى أعداءنا بين الطلا والظل والألحان
ونعالج الأنفاس نحن ونصطلى فى الفقر حين القوم فى بستان
أشرق بنورك وابعث البرق القدي ـم بومضة لفراشك الظمآن

* * *

أشواقنا نحو الحجاز تطلعت كحنين مغترب إلى الأوطان
أن الطيور وإن قصصت جناحها تسمو بفطرتها إلى الطيران
قيثارتى مكبوتة ونشيدها قد مل من صمت ومن كتمان
واللحن فى الأوتار يرجو عازفًا ليبوح من أسراره بمعان

والطور يرتقب التجلى صارخًا بهوى المشوق ولهفة الحيران

* * *

أكبادنا احترقت بأنات الجوى ودماؤنا نهر الدموع القانى
والعطر فاض من الخمائل والربى وكأنه شكوى بغير لسان
أو ليس من هول القيامة أن يكـ ـن الزهر نمامًا على البستان
النمل لا يخشى سليمانا إذا حرست قراه عناية الرحمن
أرشد براهمة الهنود ليرفعوا الـ ـإسلام فوق هياكل الأوثان

* * *

ما بال أغصان الصنوبر قد نأت عنها قماريها بكل مكان
وتعرت الأشجار من حلل الربى وطيورها فرت إلى الوديان
يا رب إلا بلبلاً لم ينتظر وحى الربيع ولا صَبَا نيسان
ألحانه بحر جرى متلاطمًا فكأنه الحاكى عن الطوفان
يا ليت قومى يسمعون شكاية هى فى ضميرى صرخة الوجدان

* * *

إن الجواهر حيَّرت مرآة هـ ـذا القلب فهو على شفا بركان
أسمعهموا يا رب ما ألهمتنى وأعد إليهم يقظة الإيمان
وأذقهم الخمر القديمة إنها عين اليقين وكوثر الرضوان
أنا أعجمى الدن لكن خمرتى صنع الحجاز وكرمها الفينان
إن كان لى نغم الهنود ولحنهم لكن هذا الصوت من عدنان

* * *

مُلحق (٣)

جـواب شكـوى

كـــلام الروح للأرواح يسْـــرى ... وتدركـــــه القلوبُ بلا عناء
هتـــــفتُ به فطارَ بلا جناح ... وَشَقَّ أنينُهُ صَـــدْرَ الفـــضاء
ومـــــعـــــدنه تُرابىٌّ ولكنْ ... جَـرَتْ فى لفظه لُغَـةُ السَّـماء
لقـدْ فـاضتَ دموعُ العشق منى ... حـــديثًـــا كـــانَ عُلوىَّ النِّداء
فـــحَلّقَ فى رُبَا الأفـــلاكِ حَـنّى ... أهاجَ العـــالمَ الأعلى بُكائى

* * *

تحـاورت النجـوم وقلن صـوت ... بقـرب العـرش مـوصـول الدعـاء
وجـاوبت المجـرة علَّ طيـفًـا ... سـرى بين الكواكب فى خـفـاء
وقـال البـدر هذا قلب شـاك ... يواصل شـــدوه عند المســـاء
ولم يعرف سوى رضوانَ صوتى ... ومـــا أحـــراه عندى بالوفـــاء
ألم أك قـــبلُ فى جنات عـــدن ... فـأخـرجنى إلى حينٍ قـضائى

* * *

وقـــيل هو ابن آدم فى غـــرور ... تجـــاوز قـــدره دون ارعـــواء
لقـد سـجـدت مـلائكة كـرام ... لهـــذا الخلق من طين ومـــاء
يظن العلم فى كـــيف وكم ... وسـر العـجـز عنه فى انطواء
وملء كـــؤوســـه دمع وشكوى ... وفى أنغـامـــه صـــوت الرجـاء
فـيـا هذا لقـد أبلغت شـيـئًـا ... وإن أكـثـرت فـيـه من المراء

* * *

عطايانا سـحـائب مـرسـلات ... ولكن مـا وجـدنا السـائلينا
وكـل طـريـقـنـا نـور ونـور ... ولكن مـا رأينا السـالكينا
ولم نجـد الجـواهر قـابلات ... ضـيـاء الوحى والنور المبـينا
وكـــان تراب آدم غـــيـــر هذا ... وإن يـك أصله مـــاء وطـينا

ولو صدقوا وما فى الأرض نهر ... لأجرينا السماء لهم عيونا

* * *

وأخضعنا لملكهم الثريا ... وشيدنا النجوم لهم حصونا
ولكن ألحدوا فى خير دين ... بنى فى الشمس ملك الأولينا
تراث محمد قد أهملوه ... فعاشوا فى الخلائق مهملينا
تولى هادمو الأصنام قدمًا ... فعاد لها أولئك يصنعونا
أباهم كان إبراهيم لكن ... أرى أمثال آزر فى البنينا

* * *

وفى أسلافكم كانت مزايا ... بكل فم لذكراها نشيد
تضوع شقائق الصحراء عطرًا ... برياها وتبتسم الورود ...
فهل بقيت محاسنهم لديكم ... فيجمل فى دلالكم الصدود
لقد هاموا بخالقهم فناء ... فلم يكتب لغيرهم الخلود
وكوثر أحمد منكم قريب ... ولكن شوقكم عنه بعيد

* * *

وكم لاح الصباح سنًا وبشرى ... وأذنت القمارى والطيور
وكبرت الخمائل فى رباها ... مصلية فجاوبها الغدير
ونوم صباحكم أبدًا ثقيل ... كأن الصبح لم يدركه نور
وأضحى الصوم فى رمضان قيدًا ... فليس لكم به عزم صبور
تمدن عصركم جمع المزايا ... وليس بغائب إلا الضمير

* * *

لقد ذهب الوفاء فلا وفاء ... وكيف ينال عهدى الظالمينا
إذا الإيمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن يحى دينا
ومن رضى الحياة بغير دين ... فقد جعل الفناء لها قرينا
وفى التوحيد للهمم اتحاد ... ولن تبنوا العلا متفرقينا
تساندت الكواكب فاستقرت ... ولولا الجاذبية ما بقين

غـــــدوتم فى الديار بلا ديار وأنتم كـــالطيـــور بلا وكـــور
وكل صـــواعق الدنيـــا ســـهـــام لبـــيـــدركم وأنت فى غـــرور
أهذا الفـــقـــر فى علم ومـــال وأنت فى القطيـــعـــة والنفـــور
وبيعُ مـــقـــابر الأجـــداد أضـــحى لدى الأحـــفـــاد مـــدعـــاة الظهـــور
سيـــعـــجب تاجـــرو الأصنام قـــدمًـــا إذا ســـمـــعـــوا بتـــجـــار القـــبـــور

* * *

من المتـــقـــدمـــون إلى المعـــالى على نـــهـــج الهـــداية والصـــواب
ومن جـــبـــهـــاتهم أنوار بيـــتى وفى أخـــلاقـــهـــم يتلى كـــتـــابى
أمـــا كـــانوا جـــدودكم الأوالى بناة المجـــد والفن العـــجـــاب
ولـــيس لـــكـــم مـــن المـــاضـــى تـــراث سوى شكوى اللغوب والاكتئاب
ومن يك يومـــه فى العـــيش يأســـا فـــمـــا غـــده ســـوى يوم العـــذاب

* * *

أتشكو أن ترى الأقـــوام فـــازوا بمجـــد لا يـــراه النـــائمـــونـــا
مـــشـــوا بهـــدى أوائلكم وجـــدوا وضـــيـــعـــتم تـــراث الأولينا
أيحـــرم عـــامل وِرْدَ المعـــالى ويســـعـــد بالرقيّ الخـــاملونا
أليس من العـــدالة أن أرضى يكون حـــصـــادها للزارعـــينا
تجلى النـــور فـــوق الطـــور بـــاق فـــهل بقى الكليم بطور ســـينا؟

* * *

ألم يبـــعـــث لأمـــتـــكم نبى يوحـــدكم على نـــهـــج الوئام
ومصحفكم وقبلتكم جميعًا منار للأخـــوة والســـلام
وفـــوق الكل رحـــمن رحـــيم الـــه واحـــد رب الأنـــام
فـــمـــا لنهـــار ألفـــتكم تولى وأمســـيـــتم حـــيـــارى فى الظلام
وحـــسن اللؤلؤ المكنون رهن بصـــوغ العـــقـــد فى حـــسن النظام

* * *

وكيف تغيرت بكم الليالى ... وكيف تفرقت بكم الأمانى
تركتم دين أحمد ثم عدتم ... ضحايا للهوى أو للهوان
رُقىُّ الشعب قد أضحى لديكم ... تقرره صلاحية الزمان
وكيف تقاس أوهام ولغو ... بحكمة منزل السبع المثانى
أرى ناراً قد انقلبت رماداً ... سوى ظل مريض من دخان

* * *

أرى الفقراء عباداً تقاة ... قياماً فى المساجد راكعينا
هم الأبرار فى صوم وفطر ... وبالأسحار هم يستغفرونا
وليس لكم سوى الفقراء ستر ... يوارى عن عيوبكم العيونا
أضلت أغنياءكم الملاهى ... فهم فى ريبهم يترددونا
وأهل الفقر ما زالوا كنوزاً ... لدين الله رب العالمين

* * *

أرى التفكير أدركه خمول ... ولم تبق العزائم فى اشتعال
وأصبح وعظكم من غير سحر ... ولا نور يطل من المقال
وعند الناس فلسفة وفكر ... ولكن أين تلقين (الغزالى)
وجلجلة الأذان بكل أرض ... ولكن أين صوت من بلال
منائركم علت فى كل حى ... ومسجدكم من العباد خالى

* * *

فأين أئمة وجنود صدق ... تهاب شباة عزمهم الحراب
إذا صنعوا فصنعهم المعالى ... وإن قالوا فقولهم الصواب
مرادهم الاله فلا رياء ... ونهجهم اليقين فلا ارتياب
لأمتهم وللأوطان عاشوا ... فليس لهم إلى الدنيا طلاب
كمثل الكأس تبصرها دهاقاً ... وليس لأجلها صنع الشراب

* * *

(١٧ – للحق والنهضة والجمال)

جـهـاد المؤمنين لهم حـيـاة ألا إن الحـيـاة هى الجـهـاد
عـقـائدهم سـواعـد ناطقـات وبالأعـمـال يثـبت الاعـتـقـاد
وخـوف الموت للأحـيـاء قـبـر وخـوف الله للأحـرار زاد
أرى مـيـراثهم أضـحى لديكم مـضـاعًـا حيث قـد ضـاع الرشـاد
وليس لوارث فى الخـيـر حظ إذا لـم يحـفـظ الأرث اتحـاد

* * *

لأى مـآثر القـوم انتـسـبـتم؟ لتكتـسـبـوا فـخـار المسلمـينا
فـأين مـقـام ذى النورين منكم ودولة عـزة دنيـا ودينا
وفـقـر على الأواب هلا ربحـتم فـيـه كنز الفـاتحـينا
أقـمـتم فى الذنوب وفى الخطايا وتغـتـابون حـتى الصـالحـينا
وهم سـتروا عيـوب الخلق فـضـلاً وإن كـانوا أبر المتـقـينا

* * *

أريكة قـيـصـر وسرير كـسـرى قـد احـتـمـيـا بملكهم العـمـيم
وأنتم تطـمـحـون إلى الثـريا بـلا عـزم ولا قـلب سـلـيم
تضـيـعـون الإخـاء وهم أقـامـوا صـروح إخـائهم فـوق النجـوم
طلبـتـم زهرة الدنيـا وعـدتم بلا زهر يضـوع ولا شـمـيم
وكـان لديهم البـسـتـان مـحـضًـا وهم أصـحـاب جنات النعـيم

* * *

يعـيـد الكون قـصـتـهم حـديثًـا وينشئ من حـديثـهم الفنونا
فكم نزحـوا عن الأفكار شـوقًـا إلى التـحـليق فـوق العـالمينا
وبأس شـبـابكم أدمى خطاهم فظنوا فـيـه بالدين الظنونا
هى المدنيـة الحـمـقـاء ألقت بهم حـول المذاهب حـائرينا
لقـد صنعت لهم صنم الملاهى لتـحـجب عنهم الحـرم الأمـينا

* * *

لقد سئم الهوى فى البيد قيس ... ومل من الشكاية والعذاب
يحاول أن يباح العشق حتى ... يرى ليلاه وهى بلا حجاب
يريد سفور وجه الحسن لما ... رأى وجه الغرام بلا نقاب
فهذا العهد أحرق كل غرس ... من الماضى وأغلق كل باب
لقد أفنت صواعقه المغانى ... وعاثت فى الجبال وفى الهضاب

* * *

هى النار الجديدة ليس يلقى ... لها حطب سوى المجد القديم
خذوا إيمان إبراهيم تنبت ... لكم فى النار روضات النعيم
ويذكو من دم الشهداء ورد ... سَنيٌّ العطر قُدسىُّ النسيم
ويلمع فى سماء الكون لون ... من العناب مخضوب الأديم
فلا تفزع إذا المرجان أضحى ... عقوداً للبراعم والكروم

* * *

فكم زالت رياض من رباها ... وكم بادت نخيل فى البوادى
ولكن نخلة الإسلام تنمو ... على مر العواصف والعوادى
ومجدك فى حمى الإسلام باق ... بقاء الشمس والسبع الشداد
وأنك يوسف فى أى مصر ... يرى كنعانه كل البلاد
تسير بك القوافل مسرعات ... بلا جرس ولا ترجيع حادى

* * *

ضياؤك مشرق فى كل أرض ... لأنك غير محدود المكان
بغت أمم التتار فأدركتها ... من الإيمان عاقبة الأمان
وأصبح عابدو الأصنام قِدماً ... حماة الحجر والركن اليمان
فلا تجزع فهذا العصر ليل ... وأنت النجم يشرق كل آن
ولا تخش العواصف فيه وانهض ... بشعلتك المضيئة فى الزمان

* * *

أعد من مشرق التوحيد نوراً ... يتم به اتحاد العالمينا
وأنت العطر فى روض المعالى ... فكيف تعيش محتسباً دفينا
وأنت نسيمه فاحمل شذاه ... ولا تحمل غبار الخاملينا
وأرسل شعلة الإيمان شمساً ... وصغ من ذرة جبلاً حصينا
وكن فى قمة الطوفان موجاً ... ومزناً يمطر الغيث الهتونا

* * *

فباسم محمد شمس البرايا ... أقيمت خيمة الفلك المنير
تلألأ فى الرياض وفى الصحارى ... وفوق الموج والسيل المغير
ونبض الكون منه مستمد ... حرارته على مر العصور
ومن مراكش يغزو صداه ... ربوع الصين بالصوت الجهير
وما مشكاة هذا النور إلا ... ضمير المسلم الحر الغيور

* * *

ورفع الذكر للمختار رفع ... لقدرك نحو غايات الكمال
فكن إنسان عين الكون واشهد ... مقامك عالياً فوق المعالى
بخنجر عزمك الوثاب لاحت ... على الأعلام أنوار الهلال
نداؤك فى العناصر مستجاب ... إذا دوى بصوت من بلال
وعقلك فى الخطوب أجل درع ... وعشقك خير سيف للنضال

* * *

خلافة هذه الأرض استقرت ... بمجدك وهو للدنيا سماء
وفى تكبيرك القدسى يبدو ... صغيراً كل ما ضم الفضاء
فيا من هب للإسلام يدعو ... وأيقظ صدق غيرته الوفاء
سترفع قدرك الأقدار حتى ... تشاهد أن ساعدك القضاء
وقيل لك احتكم دنيا وأخرى ... وشأنك والخلود كما تشاء

* * *